رأی الدین فی الصور و التماثیل

پدیدآورنده (ها) : وافی، عبدالمجید

ادیان، مذاهب و عرفان :: نشریه رسالة الاسلام :: السنة الثالثة عشرة، محرم ۱۳۸۲ - العددان ۳ و ۴

صفحات : از ۳۴۸ تا ۳۶۳

آدرس ثابت : https://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/50850

تاریخ دانلود : ۱۴۰۲/۰۸/۳۰

مرکز تحقیقـات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) جهت ارائـهٔ مجلات عرضه شـده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمـده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تألیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغـذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشـد، نیازمنـد کسب مجوز لاـزم، از صاحبـان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسـلامی (نور) می باشـد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صـفحه قوانین و مقررات اسـتفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.

مقالات مرتبط

- مدارک و مآخذ پژوهشی در هنرهای تصویری و تجسمی
- آموزه‌های فوکو در باب هنر با تاکید برآثار دیه‌گو ولاسکز، رنه ماگریت و فرانسیس گویا
- مداد الخطوط: رسالهٔ مجعول منسوب به میرعلی هروی
- از حکمت اسلامی تا حکمت هنر اسلامی؛ پژوهشی در باب الگوی جذابیت در پیام رسانی هنری دینی
- دو حکم جزمی تجربه گرایی
- بررسی قابلیت دیرینه شناسی فوکو در تحلیل نقاشی (تصویر)
- نگاهی به سیر آرا و عقاید درباره ی نظریه ی محاکات
- اصول و مبانی نقد و پژوهش هنری: معنا و مفهوم نقد در آثار قدما (اسلامی - ایرانی)

عناوین مشابه

- رأی تولستوی فی الاجتماع و الدین علی ذکر الانقلاب الروسی
- دراسات قرآنیة: ما حل من الأرزاق و ما حرم: رأی الدین فی الذبائح و الصید و اللحوم المحفوظة "المعلیات"
- الأشباح حقیقة علمیة: رأی الدین و علم النفس فی ظهور الأشباح
- ما حل من الأرزاق و ما حرم رأی الدین فی اللحوم المحفوظة (المعلبات)
- ۲- الشیوعیة فی الإسلام (رأی لجنة الفتوی و رأی السید جمال الدین الأفغانی)
- رأی عالم کبیر فی الدین و العلم و أثرهما فی عصرنا و فکرنا و حیاتنا
- الشیوعیة فی الإسلام (بین رأی لجنة الفتوی و رأی السید جمال الدین الأفغانی)
- مطالعة و رأی فی الدین و الفن
- رأی فی الإصلاح (کیف ننهض بالشریعة الإسلامیة الغراء المؤتمرات الحدیثة و الاجماع فی الإسلام - العقل فی نظر الدین)
- المیراث فی الدین الاسلامی و رأی الاستاذ عزیز خانکی فیه - بقلم الکاتب المعروف الاستاذ أحمد حلمی -

www.noormags.ir

بحث حر عن :

رأى الدين
فى الصور والتماثيل

لفضيلة الأستاذ العالم الرسام عبد المجيد وافى
المدرس بالأزهر

لا شك أننا إذا رجعنا إلى كلام الفقهاء المسلمين ، فى أمر الصور والتماثيل فإننا نجدهم على الجملة أقرب إلى التشدد فى التحريم منهم إلى الإباحة ، ولكنهم يتفاوتون فى هذا التشدد .

فمثلا نرى النووى[1] ـ وهو من كبار الشافعية ـ يذهب إلى أبعد مدى فى التحريم فيقول :

قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بالوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث ، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره فصنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى ، وسواء ما كان فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها[2] ، وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام ، هذا حكم نفس التصوير .

وأما اتخاذ ما فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط أو ثوبا ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام ، وإن كان فى بساط يداس ومخدة

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨١ ، ٨٢ ج ١٤ .
والنووى هو الإمام محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف ، ولد سنة ٦٣١ هـ ، ومات سنة ٦٧٦ هـ

(٢) إحاطة بكل ما يصور يدل على انتشار ذلك فى عصره انتشاراً شديداً .

www.noormags.ir

ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام، ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت ؟ وسيأتى ، قال : ولا فرق فى ذلك كله بين ماله ظل وما لا ظل له .

قال : هذا تلخيص مذهبنا فى المسألة ، وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وهو مذهب الثورى ومالك وأبى حنيفة وغيرهم .

وقال بعض السلف : إنما ينهى عما كان له ظل ، ولا بأس بالصور التى ليس لها ظل ، وهذا مذهب باطل ، فإن الستر الذى أنكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم الصور فيه لا يشك أحد أنه مذموم ، وليس لصورته ظل ، مع باقى الأحاديث المطلقة فى كل صورة .

وقال الزهرى [1] : النهى فى الصورة على العموم ، وكذلك استعمال ما هى فيه ودخول البيت الذى هى فيه سواء كانت رقما فى ثوب أو غير رقم ، وسواء كانت فى حائط أو ثوب أو بساط ممتهن أو غير ممتهن عملا بظاهر الأحاديث ، لاسيما حديث النمرقة الذى ذكره مسلم ، وهذا مذهب قوى .

وهكذا نرى النووى يتشدد هذا التشدد فى حكم تصوير الحيوان ، سواء كان رقما فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غير ذلك[2] .

فلو أخذنا برأيه هذا لما جاز لأى فنان أن يرسم أى نوع من أنواع الحيوان أو الإنسان فى غرض من أغراض الحياة .

كما نراه يتشدد فى تحريم استعمال ماصوره الغير أو رسمه ، فلا يبيح ذلك إلا إذا كان مستعملا على سبيل الامتهان ، كبساط يداس عليه أو غير ذلك ، ومعنى هذا

---

(١) هوأبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، من رواة الحديث روى عن صغار الصحابة ، سكن الشام ، ولد سنة ٥٠ هـ ، ومات سنة ١٢٤ هـ ، تهذيب الأسماء واللغات ص ٩٠ ج ١ ــ تعريب التهذيب لابن حجر ص ٢٠٧ ج ١ .

(٢) يذكر المقريزى فى رسالة النقود : أن عمر بن الخطاب سك عملة من الدراهم والدنانير وعليها الصور الكسروية والبيزنطية ولم يغير فى رسم العملة شيئا ، وإن كان قد أضاف إلى بعضها « لا إله إلا الله وحده ، الله أحد ، محمد رسول الله ، ترى ما ذا يكون رأى الفقهاء فى عمر إذ فعل ذلك ، بل ترك الأمة تزاول التعامل بهذه السكة .

www.noormags.ir

أنه لا يجوز استعمال الأطباق التى عليها الصور ، ولا تعليق الصور فى ذاتها فوق الجدران ، وما إلى ذلك .

ونراه فى هذا النص يعنى بتوضيح موقف ملائكة الرحمة من دخول بيت فيه تصاوير أو عدم دخولهم ، فيأبى أن يفرق بين ما له ظل وهو التماثيل ونحوها ، وما لا ظل له كالصور والرسوم ، ويسلك هذا كله فى سلك المنع والتحريم ، ويأبى أن يقبل ما رواه عن بعض السلف من التفرقة بين ما لا ظل له وما له ظل ، فيحكم ببطلانه ، ويعارضه برواية أخرى يحكم بقوتها .

ويتبين مما ذكره النووى ـ وإن لم يرتضه ـ أن بعض العلماء يفرق بين التماثيل والصور أو الرسوم ، فيحرم التماثيل صناعة أو اقتناء ، ويبيح الصور والرسوم إذا كانت رقماً فى ثوب أو نحو ذلك ، سواء كانت مقتناة على سبيل الامتهان أو معلقة فى حائط أو غيره .

ونرى من الفقهاء من يتوسع ويترخص شيئا ما ، كالقاضى عياض [1] من المالكية الذى يقرر جواز اتخاذ لعب البنات ، التماثيل التى تتخذها البنات لعباً من مثل عرائس الحلوى أو الجبس أو القطن ونحوه ، استناداً إلى ماورد من أن عائشة عند ما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت صغيرة ، وكانت لها لعب صغيرة من هذا النوع ، وكان لها صواحب يلعبن معها ، ويعلق القرطبى [2] على ذلك بقوله : « قال العلماء : وذلك للضرورة إلى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية أولادهن » ص ٢٧٥ ج ١٤ القرطبى .

ويذهب بعض العلماء [3] إلى جواز التماثيل عامة ، فضلا عن الصور والرسوم ،

---

(١) هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبى ـ قبيلة من حمير ـ الأندلسى السبتى ، ولد سنة ٤٩٦ هـ ، وتوفى سنة ٥٤٤ هـ . الصلة لابن بشكوال ص ٤٢٩ ج ١ ، الديباج المذهب ص ١٦٨ .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ، توفى سنة ٦٧١ هـ . بمنية ابن خصيب بمصر .

(٣) لم يذكر القرطبى ما يشير إلى شخصيات هؤلاء العلماء .

www.noormags.ir

استناداً إلى ما جاء فى قوله تعالى عن نبيه سليمان عليه السلام : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل » قالوا إن التمثال هو كل ماصور على صورة حيوان أو إنسان، وقالوا كان لسليمان أنواع من التماثيل من زجاج ونحاس ورخام ، وإن بعضها كان يمثل صور أنبياء تقدموا أو علماء أو صلحاء ، وبعضها كان يمثل حيوانات أخرى ، كما يروى أنه كان يجلس على كرسى يقوم على أسدين من أسفله ونسرين فوقه ، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، وإذا قعد أطلق النسران أجنحتهما ، أى أنها لم تكن مجرد تماثيل ساكنة ، ولكنها كانت تماثيل ذات حركات معينة .

وهذا الرأى حكاه مكى[1] فى الهداية ، وذكره النحاس[2] قبله .

وكما استدلوا لذلك بفعل سليمان ، استدلوا له أيضا بفعل المسيح عليه السلام الذى حكاه عنه القرآن فى قوله تعالى : « إنى أخلق لكم من الطين كهيأة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله » .

وقد ذكرت هذه الآراء فى تفسير القرطبى ، وإن كان قد روى ما يعارضها ويقرر خطأها ص ٢٧٤ ج ١٤ .

والواقع أن لكل فقيه أو عالم من هؤلاء وجهة فيما ذهب إليه ، وأن هناك طائفة من الأحاديث النبوية يتبادلها أصحاب هذه الآراء ويستندون إليها .

وسبيلنا فى هذا الأمر الذى وقع فيه الاختلاف أن نرده إلى الله ورسوله ، عملا بقوله تعالى : « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » .

فلنستعرض أهم ما ورد فى هذا الباب من الكتاب والسنة لنعلم الحقيقة ، ولنبدأ بما ورد فى السنة لكثرته وكثرة ما دار حوله ، فمن ذلك :

---

(١) هو مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار المقرئ القارىء النحوى صاحب الهداية إلى بلوغ النهاية (تفسير) ولد سنة ٣٥٥ هـ ، وتوفى سنة ٤٣٧ هـ (كشف الظنون ص ٤٥٥ ج ١ ـ بغية الوعاة للسيوطى ص ٣٩٦) .

(٢) ويعرف أيضاً بابن النحاس ، وهو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادى النحوى المصرى ، توفى سنة ٣٣٨ هـ (كشف الظنون ص ٤٦٠ ج ١ بغية الوعاة ص ١٥٧) .

www.noormags.ir

(١) عن عائشة أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزعه ، قالت : فقطعتها وسادتين فكان يرتفق عليهما ـ متفق عليه ، وفى لفظ أحمد : فقطعته مرفقتين فلقد رأيته متكئاً على إحداهما وفيها صورة .

وهذا الحديث يذكر كلمة « تصاوير » فهل يتحتم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كرهه ونزعه لمجرد أن فيه تصاوير ؟ .

إننا لا نستطيع أن نقر ذلك ، لأن الحديث نفسه يذكر أن إحدى المرفقتين قد بقيت فيها صورة ، وأنه قد اتكأ عليها ، مع بقاء هذه الصورة ، فلو كانت الكراهية والنزع موجهة ضد التصوير والصورة لكان الحكم بالتحريم قريبا ، ولو كان النص دالا على أن الستر حين قطع أزيلت الصورة أو فسد وضعها كصورة لكان الأمر مقبولا ، ولكن الصورة بقيت والرسول اتكأ عليها ، فلا بد لنا أن نلتمس سراً آخر لانتزاع الرسول للستر ، ولتقطيع عائشة إياه وسادتين ، وذلك السر فى نظرنا هو كراهية النبي صلى الله عليه وآله وسلم للترفه ، واتجاهه لأن يكون بيته خالياً من وسائل الزينة والنعيم ، وليس ذلك لأن الزينة والنعيم والمستوى الرفيع فى اتخاذ الستور والبسط وما إليها محرم على المؤمنين ، وإنما هو لموضع القدوة فى حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فالأولى ألا يفعل ذلك .

وهذا الذى نقرره تدل عليه رواية أخرى ـ فقد روى مسلم عن عائشة قالت : كان لنا ستر فيه تمثال طائر ، وكان الداخل إذا دخل استقبله ، فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حولى هذا ، فإنى كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا .

وفى رواية أخرى عنها : « أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدودة إلى سهوة ـ والسهوة بيت صغير منحدر فى الأرض قليلا شبيه بالمخدع ـ فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلى إليه ـ أى أنه كان تجاهه وهو يصلى مستقبلا القبلة ـ فقال : أخريه عنى ، قالت : فأخرته فجعلته وسادتين » .

قال القرطبي معلقاً على ذلك : قال بعض العلماء : ويمكن أن يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعاً ، لأن محل النبوة والرسالة الكمال ، فتأمله:

ص ٢٧٤ ج ١٤

www.noormags.ir

بذلك يتبين أن السر الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كراهيته الستر فى الحديث الذى نتحدث عنه ، وفى طلب تأخير ستر آخر عنه كان منصوباً فى مكان واضح فى مدخل البيت يستقبله المستقبل ، أو فى مكان يتجه إليه رسول الله حين يصلى ، كما تذكر الروايتان الأخريان ، كل هذا يؤذن بأن السر هو كراهيته الدنيا ، والترفع عن متاعها وما يشغل القلب منها تورعاً وتكملا ، فليس له صلة بالصورة أو الصور التى فى هذا الستر أو ذاك

(٢) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أتانى جبريل فقال : إنى كنت أتيتك الليلة فلم يمنعنى أن أدخل البيت الذى أنت فيه إلا أنه كان فيه تمثال رجل ، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان فى البيت كلب ، فمر برأس التمثال الذى فى الباب يقطع يصير كهيئة الشجرة ، وأمر بالستر يقطع فيجعل وسادتين منتبذتين توطآن ، وأمر بالكلب يخرج . ففعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، وإذا بالكلب جرو ، وكان للحسن والحسين تحت نضد لهما » . رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، وصححه وأخرجه النسائى .

وكل ما ذكر فى هذا الحديث أن جبريل عليه السلام امتنع عن دخول البيت وفيه هذه الأشياء ، فلقائل أن يقول : هل كان امتناعه كراهية للصور والتماثيل والكلب ؟ أو كان لما يدل عليه ذلك من اتجاه إلى اتخاذ هذه الأشياء ، وما لها من دلالة على التأنق والترفه واللهو ، بينما يراد من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون بعيداً عن كل ما يجعله كالرؤساء الذين يقصدون إلى الفخامة والعلو .

نعم إن فى الحديث تصريحا بأن جبريل أمره بأن يقطع رأس التمثال ، وأن يقطع الستر فيحوله إلى وسادتين ، وأن يخرج الكلب ، ولكن ذلك فى رأينا لا يقصد به إلا إلى إبطال اتخاذ هذه الأشياء على الوضع الذى اتخذت عليه ، ترفيعاً لمقام النبى صلى الله عليه وسلم عن مظاهر العلو المصطنعة على سنة الرؤساء والكبراء من أهل الدنيا ! ولا شك أن هناك فرقا بين اتخاذ ستر فيه تصاوير ، وتحويل هذا الستر إلى وسادتين ينتفع بهما وتبطل معهما الدلالة على التزيد والتمتع ، كما أن قيام تمثال رجل يؤذن بلون من ألوان التأنق والتكثر والزينة ، وكذلك اقتناء كلب صغير بدون

www.noormags.ir

حاجة إليه إلا لمجرد اللعب به واللهو ، ولذلك فإن اتخاذ الكلب للحراسة ونحوها جائز ولا بأس به ، أما اتخاذه لمجرد اللهو والتفاخر بمظهره فإنه أناقة لا يحبها الإسلام ، ولا يرضى أن ينشأ على حبها أبناء المسلمين .

وقد يفسر لنا هذا ما نراه فى بعض البيوت الآن من عناية باقتناء الكلاب أو نحوها من النسانيس والقرود أحياناً ، كل ذلك للعبث والتظاهر بمظهر من مظاهر الزينة ، والإسلام يكره ذلك ، ولا يجب أن تكون الأمم عليه ، ومن باب أولى لا يجب أن يكون بيت الرسول على شيء منه ، وهذا فى نظرنا هو ما ينبغى أن يفسر به الحديث ، وبذلك يكون فى معزل عن حرمة التصوير أو التماثيل أو عدم حرمتها .

(٣) عن ابن عباس : « وجاء رجل فقال : إنى أصور هذه التصاوير فأفتنى فيها ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كل مصور فى النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفساً تعذبه فى جهنم ، فإن كنت لا بد فاعلا فاجعل الشجر وما لا نفس له » متفق عليه .

هذا الحديث هو الذى استند إليه من فرق بين تصوير الحيوان وتصوير الشجر ونحوه ، وأشد ما فيه ما رواه سماعا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قوله : « كل مصور فى النار . . . الخ » .

(٤) ومثله ما روى عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم » متفق عليه .

وما روى من قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من صور صورة عذبه الله يوم القيامة حتى ينفخ فيها الروح وما هو بنافخ » رواه البخارى والترمذى والنسائى عن ابن عباس .

ونلاحظ على هذه الأحاديث ما يأتى :

١ ــ أن كلا من حديث ابن عباس وحديث ابن عمر يقول ما يفهم منه أن الكلام فى صور معينة ، إذ يقول الرجل الذى سأل ابن عباس : « إنى أصور هذه

www.noormags.ir

التصاوير فأفتنى فيها ، ويقول ابن عمر نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الذين يصنعون هذه الصور » .

وإذن فهى صور معينة جرى عليها القول ، وانصب عليها الحكم ، ومن الجائز أن تكون صوراً لها دلالة دينية مخالفة لما عليه المسلمون ، كالأصنام التى تعبد من دون الله ، وقد يدل على ذلك ما ورد فى حديث مسلم وغيره « أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم هتك درنوكا لعائشة كان فيه صور الخيل ذوات الأجنحة حتى اتخذت منه وسادتين ، والدرنوك نوع من النسيج ذو وبر كالقطيفة كان يرسم عليه فى صناعة النسيج ، فهذا الحديث الأخير يتحدث عن نوع معين من الصور هو الخيل ذوات الأجنحة ، ومن المعروف أن العادة جرت بتصوير الملائكة ذوى أجنحة ، أخذا مما ورد فى الكتب الدينية من وصفها ، كما فى قوله تعالى : « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فالمتبادر أن صور الخيل لها أجنحة يلتقى بتصوير الملائكة وأجنحتها ، فكأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كره الاقتحام على الملائكة ، ولو من بعيد ، فلم يرض عن هذا النوع من الصور .

وبذلك يمكننا أن نقول إن تصوير من له قداسة من ملك أو نبى أو نحو ذلك ينبغى ألا ينظر إليه بارتياح .

٢ ــ أن هذه الأحاديث قد تحدثت عن المصورين أو عن التصوير عامة ، إن بعضها يشير إلى تخصيص التحريم بما كان ذا روح ، وبعضها يستثنى ما كان رقماً فى ثوب ونحوه ، وبذلك يتردد معناها بين التعميم والتخصيص ، وبين التماثيل المجسمة والصور والرسوم المرقومة .

وهذا ما دعى بعض العلماء إلى الخروج من تضارب الأقوال فيها بتأويلها ، ومن أهم ما رأينا فى ذلك رأى أبى على الفارسى[1] ، فهو يقرر أن القدر المتفق عليه فى هذه الأحاديث وأمثالها هو الحكم بتعذيب المصور ، ووراء هذا القدر المتفق عليه

---

(١) هو الحسن بن على بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان بن إبان الفارسى (٢٨٨ هـ ــ ٣٧٧ هـ) عن وفيات الأعيان جـ ١ / ٣٦١ ، معجم الأدباء جـ ٧ / ١٣٢ .

www.noormags.ir

روايات أخرى أحادية لا تفيد القطع تضيف إلى هذا القدر المشترك شيئاً آخر هو أنه « يقال لهم أحيوا ما خلقتم » .

فإذا قطعنا النظر عن هذه الزيادات لم يبق معنا إلا الإخبار بتعذيب المصورين فى مثل قوله : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » وهنا يقول أبو على الفارسى : « إن المراد بالمصورين الذين يكونون أشد الناس عذابا يوم القيامة هم فرقة المجسمة التى ترى أن الله تعالى جسم ويشبهونه بما خلق . هؤلاء قد خالفوا صريح القرآن فى مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شىء » ، « ولم يكن له كفواً أحدا » ، فاستحقوا أشد العذاب لأنهم افتروا على الله فى أمر من أمور العقيدة ، بل هو أهم عقيدة من العقائد التى جاءت بها الأديان لاتصالها بذات الله جل علاه ، لذلك يكون مفهوماً أنهم يستحقون أشد العذاب تبعاً لعظم جريمتهم وشناعتها ، ولا يعقل أن يكون مجرد تصوير صورة مجسمة أو مرقومة سبباً فى نظر الشارع لاستحقاق أشد العذاب بهذا الإطلاق ، فأين هذا من جريمة الزنا مثلا ، أو من جريمة قتل النفس التى حرم الله قتلها ، أو غير ذلك من الجرائم العظمى ، ويجدر بنا أن ننقل كلام أبى على نفسه بعد أن قدمنا له بهذه المقدمة .

قال أبو على الفارسى فى كتابه « الحجة »[1] :

فأما قوله : « ثم اتخذوا العجل » وقوله : « باتخاذكم العجل » ، « اتخذوه وكانوا ظالمين » ، « واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا » فالتقدير فى ذلك كله : اتخذوه إلهاً ، فحذف المفعول الثانى .

والدليل على ذلك أن الكلام لا يخلو من أن يكون على ظاهره ، كقوله : « كمثل العنكبوت اتخذت . . . » أو يكون على إرادة المفعول .

فلا يجوز أن يكون على ظاهره دون إرادة المفعول الثانى لقوله عز وجل : « إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا » .

ومن صاغ عجلا أو نجره أو عمله بضرب من الأعمال لم يستحق الغضب من الله

(١) مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٤٦٢ « مصور » ص ٣٥٦ ج ١ .

www.noormags.ir

عز وجل والوعيد عند المسلمين ، فإذا كان كذلك علم أنه على ما وصفنا من إرادة المفعول الثانى المحذوف فى هذه الآى .

فإن قال قائل قد جاء فى الحديث : يعذب المصورون يوم القيامة ، وفى بعض الحديث : ويقال لهم أحيوا ما خلقتم . قيل : يعذب المصورون يكون على من صور الله تصوير الأجسام ، وأما الزيادة فى أخبار الآحاد التى لا توجب العلم ، فلا يقدح بذلك فى الإجماع على ما ذكرنا .

إلى هنا ينتهى نص كلام أبى على ، ومما يلفت النظر ويسترعى الانتباه أنه يقرر جواز صياغة عجل أو نجره إلى آخره تقرير المسلمات ، وأن هذا الفعل لا يمكن أن يكون بذاته سببا لاستحقاق غضب الله .

فإذا بدا أمام عينيه أن أحداً سيعترض على هذا الذى يقرره بحديث : « إن من أشد الناس عذابا . . . الخ » خرج من هذا الاعتراض بتأويل الحديث على النحو الذى أوله به .

ولا شك أن هذا رأى خطير يدلى به عالم فى شأن التصوير ، عالم عظيم فى القرن الرابع الهجرى ، ويهيء السبيل لمن لم يطمئن إلى حكم التحريم ، أو يؤول أحاديث تعذيب المصورين بمثل ما أولها به أبو على .

* * *

بهذا يتبين أن استنباط التحريم من الأحاديث ليس ضربة لازب كما يرى المتشددون ، وأن الأمر لا يعدو أن يكون فهما فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لنا أن نعارضه بفهم آخر .

ويبقى بعد ذلك أن ننظر فى القرآن الكريم ، لنرى هل فيه دليل أو شبه دليل على منع التصاوير أو التماثيل .

١ — يفسر بعض الناس « الأنصاب » فى قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » بأنها الأوثان ، ومع أن هذا التفسير ليس هو أظهر الآراء فى تفسير « الأنصاب » بل أظهرها أنها الأحجار التى كانت تنصب وتذبح عليها القرابين .

www.noormags.ir

فإن أحدا لا ينازع فى أن اتخاذ الأوثان وصناعتها ترويجاً للوثنية والشرك أمر محرم إجماعا ، فليكن هذا النوع من التماثيل محرما ، ولكن لا يصح أن نطلق معه القول بتحريم جميع التماثيل حتى التى لم يقصد بها ولا يفهم منها أى معنى من معانى الوثنية .

٢ — ورد فى سورة سبأ إخباراً عن سليمان عليه السلام وما يسره الله له قوله عز وجل : « يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور » .

وقد سبق لنا أن ذكرنا أن هناك فريقاً من العلماء يرى إباحة التصوير بجميع أنواعه مجسما أو غير مجسم استناداً إلى هذه الآية ، والذين يمنعون ويحرمون يستندون إلى أن حكم الإباحة إنما هو فى شريعة غير شريعتنا ، وقد حرمت الصور والتماثيل فى شريعتنا .

والواقع أن المسألة لا يمكن أن تمر بهذه السهولة استناداً إلى الإحاديث التى شرحناها وناقشنا آراءهم فيها ، وأن الآية الكريمة التى تذكر هذا عن سليمان ، يدل سياقها على تمجيد نعم الله تعالى على سليمان ، وتعديد مظاهر الحضارة والرقى الصناعى فى عهده ، فهى تذكر المحاريب والتماثيل والجفان والقدور ، كما ذكرت من قبل تسخير الريح غدوها شهر ورواحها شهر ، وكما ذكرت من قبل نعم الله على داود أبى سليمان من إلانة الحديد له ، وإسالة عين القطر ، وتأويب الجبال معه والطير .. الخ وقد ختم ذلك كله بقوله تعالى : « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور » فاعتبر أن هذا كله نعم تستحق الشكر ، وطلب أن يكون هذا الشكر أعمالا إيجابية ، فلم يقل : اشكروا يا آل داود ، ولكن قال : اعملوا شكراً .

ويبعد أن يباح لنبى من الأنبياء شىء يمجد هذا التمجيد ، ويعد نعمة تستحق الشكر العملى ، ثم يقال إن هذا مما نسخته شريعة الإسلام ، لأن شريعة الإسلام ما جاءت لتنسخ مثل هذا ، وإنما تمنع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وليس هذا من قبيل الإصر والأغلال ، وإنما هو من قبيل الرقى الصناعى والفن .

www.noormags.ir

وظاهر أن التماثيل التى كانت تصنع لسليمان ليست تماثيل وثنية وشرك ، وإلا لما أبيحت فى أى دين من الأديان طرفة عين .

والخلاصة أن هذه الآية أجدر بأن تدل على الإباحة لا على التحريم ، وشبيه بهذا ما ورد فى الكتاب العزيز حكاية عن عيسى : « إنى أخلق لكم من الطين ... الخ » فهذا رسول كريم استباح بإذن ربه أن يخلق ، أى يصنع تمثالا كهيئة الطير ولو كان ذلك قبيحاً من البشر ، لما أذن الله أن يفعله رسول من رسله ، ولا يقال إن هذا إنما هو مقام المعجزة فى شأن عيسى ، لأننا نقول إن المعجزة ليست فى صنعته مكوناً عن هيئة الطير ، ولكن فى النفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله .

ومن يتأمل أسلوب القرآن الكريم فى إثبات وجود الله وعظمته ، يجد أن هذا الأسلوب يعين على لفت الأنظار إلى ما خلق الله من شىء فى السموات والأرض ، إلى دقة الصنعة التى تتجلى فى النبات ، وتتجلى فى الحيوان ، وتتجلى فى الجماد .

فالله تعالى يقول : « قل انظروا ما ذا فى السموات والأرض » ويقول : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا » فكيف يطلب من الناس النظر والتدبر ومشاهدة العجائب من خلقه ، وصنع الله الذى أتقن كل شىء للوصول إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته ، ثم يمنع المصور أن يصور هذه الأشياء ، أو الرسام أن يرسمها ، أو النحات أن يمثلها ، أليس ذلك كله تمجيداً لصنعة الله وإعرابا عن جمالها ودقتها بريشة الفنان أو آلة المثال ، وهل يختلف هذا عن تصوير عجائب خلق الله بالشعر الذى هو أيضا من الفنون ؟ إن هذا وذاك ما هو إلا مخاطبة للعاطفة عن طريق ما يسمع إذا قلت شعرا أو نثرا ، وعن طريق ما ينقش إذا رسمت أو مثلت أو صورت ، وعن طريق ما ينظر إذا سرت فى الأرض ثم تأملت .

* * *

ويجدر بى هنا أن أنقل رأى الإمام محمد عبده فى ذلك الموضوع [1]

قال الإمام : « لهؤلاء القوم حرص غريب على حفظ الصور المرسومة على

(١) نقلا عن تاريخ الإمام للسيد رشيد رضا ص ٤٩٨ جـ ١ .

www.noormags.ir

الورق والنسيج ، ويوجد فى دار الآثار عند الأمم الكبرى ما لا يوجد عند الأمم الصغرى ، كالصقليين مثلا ، يحققون تاريخ رسمها واليد التى رسمتها ، ولهم تنافس فى اقتناء ذلك غريب ، حتى أن القطعة الواحدة من رسم « روائيل » مثلا ربما تساوى مئات من الآلاف فى بعض المتاحف . ولا يهمك معرفة القيمة بالتحقيق ، وإنما المهم هو التنافس فى اقتناء الأمم لهذه النقوش ، وعد ما أتقن منها من أفضل ما ترك المتقدم للتأخر . وكذلك الحال فى التماثيل ، وكلما قدم المتروك من ذلك كان أعلى قيمة ، وكان القوم عليه أشد حرصا ، هل تدرى لماذا ؟ .

إذا كنت تدرى السبب فى حفظ سلفك للشعر وضبطه فى دواوينه . والمبالغة فى تحريره ، خصوصا شعر الجاهلية ، وما عنى الأوائل رحمهم الله بجمعه وترتيبه ، أمكنك أن تعرف السبب فى محافظة القوم على هذه المصنوعات من الرسوم والتماثيل . فإن الرسم ضرب من الشعر الذى يرى ولا يسمع ، والشعر ضرب من الرسم الذى يسمع ولا يرى ، إن هذه الرسوم والتماثيل قد حفظت من أحوال الأشخاص فى الشئون المختلفة ، ومن أحوال الجماعات فى المواقع المتنوعة ، ما تستحق به أن تسمى ديوان الهيئات والأحوال البشرية ، يصورون الإنسان والحيوان فى حال الفرح والرضا ، والطمأنينة والتسليم ، وهذه المعانى المدرجة فى هذه الألفاظ متقاربة لا يسهل عليك تمييز بعضها عن بعض ، ولكن تنظر فى الرسوم المختلفة فتجد الفرق ظاهراً باهراً ، يصورونه مثلا فى حالة الجزع والفزع ، والخوف والخشية ، والجزع والفزع مختلفان فى المعنى ، ولم أجمعهما هنا طمعا فى جمع عينيه فى سطر واحد ، بل لأنهما مختلفان حقيقة ، ولكنك ربما تعتصر ذهنك لتحديد الفرق بينهما وبين الخوف والخشية ـ ولا يسهل عليك أن تعرف متى يكون الفزع ومتى يكون الجزع ـ وما الهيئة التى يكون عليها الشخص فى هذه الحال أو تلك . وأما إذا نظرت إلى الرسم وهو ذلك الشعر الساكت فإنك تجد الحقيقة بارزة لك تتمتع بها نفسك ، كما يتلذذ بالنظر إليها حسك .

ثم يقول : فحفظ هذه الآثار حفظ للعلم فى الحقيقة ، وشكر لصاحب الصنعة على الإبداع فيها ، إن كنت فهمت من هذا شيئاً فذلك بغيتى ، وأما إذا لم تفهم فليس

www.noormags.ir

عندى وقت لتفهيمك بأطول من هذا ، وعليك بأحد اللغويين أو الرسامين أو الشعراء المفلقين ليوضح لك ما غمض عليك إذا كان ذلك من ذرعه .

ربما تعرض لك مسألة عند قراءة هذا الكلام ، وهى : ما حكم هذه الصور فى الشريعة الإسلامية إذا كان القصد منها ما ذكر من تصوير هيئات البشر فى انفعالاتهم النفسية ، أو أوضاعهم الجسمانية ، هل هذا حرام ، أو جائز ، أو مكروه ، أو مندوب ، أو واجب ؟ .

فأقول لك : إن الرسم قد رسم ، والفائدة محققة لا نزاع فيها ، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد محى من الأذهان ، فإما أن تفهم الحكم من نفسك بعد ظهور الواقعة ، وإما أن ترفع سؤالا إلى المفتى وهو يجيبك مشافهة ، فإذا أوردت عليه حديث : « إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون » أو ما فى معناها مما ورد فى الصحيح ، فالذى يغلب على ظنى أنه سيقول لك إن الحديث جاء فى أيام الوثنية وكانت الصور تتخذ فى ذلك العهد لسببين : الأول : اللهو ، والثانى : التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين ، والأول مما يبغضه الدين ، والثانى مما جاء الإسلام لمحوه ، والمصور فى الحالين شاغل عن الله أو ممهد للإشراك به ، فإذا زال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر فى المصنوعات ، وقد صنع ذلك فى حواشى المصاحف وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء ، مع أن الفائدة فى نقش المصاحف موضع النزاع ، وأما فائدة الصور فما لا نزاع فيه على الوجه الذى ذكر .

وأما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات فى محل فيه صور طمعاً فى أن الملكين الكاتبين أو كاتب السيئات على الأقل لا يدخل محلا فيه صور كما ورد ، فإياك أن تظن أن ذلك ينجيك من إحصاء ما تفعل ، فإن الله رقيب عليك وناظر إليك ، حتى فى البيت الذى فيه صور ، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك إذا تعمدت دخول البيت لأن فيه صورا .

ولا يمكنك أن تجيب المفتى بأن الصورة على كل حال مظنة العبادة ، فإنى أظن

www.noormags.ir

أنه يقول لك إن لسانك أيضا مظنة الكذب ، فهل يجب ربطه ، مع أنه يجوز أن يصدق ، كما يجوز أن يكذب .

وبالجملة إنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم بعد تحقق أنه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل .

* * *

وإذا تركنا الإمام محمد عبده من علماء هذا العصر ، فإن عالماً آخر فقيهاً مالكياً مصريا ، هو الإمام القرافي [1] صاحب كتاب الذخيرة ، الذي لا نظير له في الفقه المقارن بين المذاهب عامة وفقه المالكية خاصة ، وصاحب كتاب الفروق الذي يدل على عمق في دراسة الشريعة الإسلامية وتبحر في قواعدها .

يقول الإمام القرافي [2] : بلغني أن الملك الكامل وضع له شمعدان كلما مضى من الليل ساعة انفتح باب منه ، وخرج منه شخص في خدمة الملك ، فإذا انقضت عشر ساعات طلع الشخص على أعلى الشمعدان ، وقال : « أصبح الله السلطان » فيعلم أن الفجر قد طلع .

إلى هنا والأمر مجرد إخبار عن الغير ، لكنه يقول بعد ذلك عن نفسه :

وعملت أنا هذا الشمعدان ، وزدت فيه : أن الشمعة يتغير لونها كل ساعة ، وفيه أسد تتغير عيناه من السواد الشديد إلى البياض الشديد إلى الحمرة الشديدة ، ويسقط حصانان من طائرين ، ويدخل شخص ويخرج شخص غيره ، ويغلق باب

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي المصري المشهور بالقرافي (٦٢٦ هـ ـ ٦٨٤ هـ) .

(٢) في كتابه المخطوط بدار الكتب « نفائس الأصول شرح المحصول » مخطوط رقم ٤٧٢ أصول ج أول ص ١٠٨ .

www.noormags.ir

ويفتح باب فى كل ساعة لها لون ، وإذا طلع الفجر طلع الشخص على أعلى الشمعدان وأصبعه فى أذنه يشير إلى الأذان ، غير أنى عجزت عن صنعة الكلام [١] .

ثم هو يقول بعد ذلك :

« وصنعت أيضا صورة حيوان يمشى ويلتفت يميناً وشمالا ويصفر ولا يتكلم ».

فليت شعرى هل نسى هذا الإمام الجليل أو تناسى تلك الروايات الحديثية التى فسروها ذلك التفسير الضيق المتزمت ، وهل سوغ لنفسه وهو إمام جليل فقيه فى الشريعة وأصولها أن يخرج على أحكامها عاصياً الله ورسوله بصناعته تلك التماثيل التى وصفها .

وهل يجب علينا أن نعتقد أن الإمام القرافى سيأتى يوم القيامة واقفا على رأس صف طويل من رجال الفنون التصويرية منتظراً أن يلقى به وبهم فى أشد العذاب لأنه صور رجلا أو أسدا أو طائرا ؟ .

وإذا كان المسلمون ينظرون إلى مثل هذا العالم الفذ الذى يخدم عقيدة الإيمان بالله مثل هذه النظرة ، فماذا يكون وضعهم بين الأمم والحكم عليهم من أهل الحضارات والمدنيات ؟

(١) وقريب من ذلك ما رواه ابن جبير (ولد سنة ٥٤٠ هـ) فى رحلته عن وصف الساعة التى كانت بجامع دمشق وفيها تماثيل صقور ، وكانت هذه الساعة عبارة عن طيقان من نحاس يعدد ساعات النهار ، وعند انقضاء ساعة يسقط من كل طاق صنجتان من نحاس فى فمى الصقرين المصنوعين من النحاس أيضا ، وكانت تحت كل صقر طاس من النحاس المثقوب ، فإذا انتهت ساعات النهار ألقى كل صقر بندقه من فمه فى الطاس فترجع بسرعة إلى الغرفة محدثة صوتاً عظيماً ، وكانت هذه الساعة تضاء بالليل بما يقرب من ذلك فى الحيل .

ورحلة ابن جبير إلى دمشق فى عصر صلاح الدين .

www.noormags.ir